AIJLLS |MARCH 2023 | VOL 7 ISSUE 15
مجلة اللسان الدولية / العدد الخامس عشر (مارس 2023م/ 1444 هـ)
الترقيم الدولي ISSN 2600-7398

الموازنة بين السير الذاتية للأعلام الكُتّاب
محمد بوصيري سلمان أكي ومحمد الأول أبوبكر أنموذجا

الدكتور موسى حسين محمّد البشير (أريكيوسولا)
محاضر بقسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة إلورن، إلورن، نيجيريا.
Dr. Musa Husain Muhammad -Bashir,
husainmusa31@gmil.com

ملخص البحث

يهدف هذا المقال إلى تقديم الموازنة بين سيرتين الذاتيتين للمؤلفين الشماليين النيجيريين: محمد البوصيري سلمان أكي ومحمد الأول أبوبكر إبرازا لما بينهما من أوجه الاتفاق والافتراق بين سيرتيهما الذاتيتين، لنقف على مدى مخض زبدة اللاحق للسابق وعلى كيفية تأثير السابق في اللاحق مع بعد المسافة المكانية بينهما ونأي المؤسسات العلمية التي أنتجت كُلاًّ منهما، والموازنة بينهما تتمحور خلال النقاط التالية :ترجمة حياة محمد البوصير سلمان أكي الإلوري، ورحلته العلمية إلى مصر، وترجمة حياة محمّد الأول أبوبكر، وأوجه الائتلاف بين السيرتين، وأوجه الاختلاف بين السيرتين ، والصورة الفنية أو التصوير الفني(Artistic Imagery) ، والاختلاف من حيث الشكل والمضمون، والائتلاف والاختلاف معا، وأوجه الانفراد لكلٍّ من الأديبين.

Abstract:

This article aims to provide a balance between the two autobiographies of the northern Nigerian authors: Muhammad al-Busairi Salman Aki and Muhammad al-Awwal Abu Bakr, highlighting the aspects of agreement and divergence between their two biographies, so that we can stand on the extent of the subsequent churn of butter for the former and how the former influences the later with the spatial distance between them and their distance The scientific institutions that produced each of them, and the balance between them revolves around the following points: the translation of the life of Muhammad al-Basir Salman Aki al-Illuri, his scientific journey to Egypt, the translation of the life of Muhammad I Abu Bakr, the similarities between the two

biographies, the differences between the two biographies, and the artistic image or artistic photography. Imagery), and the difference in terms of form and content, coalition and difference together, and the unique aspects of each of the writers.

ترجمة حياة محمد البوصيري سلمان أَكَيْ :

هو محمّد البوصيري بن سلمان أَكَيْ بن البوصيري بن علي بن إبراهيم، سوداني الأصل لأن جدّه الأكبر وفد من السودان إلى مدينة إلورن .

ولد هذا الأديب بمدينة أبيكوتا سنة 1928م، ونشأ في مدينة إلورن وأخذ القرآن الكريم عن والده الملقّب بالمفتي الإسلامي وأتم حفظه عند عمه أَلْفَه عبد الله. ثم التحق بالمدرسة العربية التي أسسها الشيخ محمّد كمال الدين الأدبي عام 1942م وقضى بها خمس سنوات حيث حصل على الشهادة الأولية وكان من أوائل الطلبة افتتحت بهم تلك المدرسة العربية النظامية، ثم بعث مدرسا إلى مدرسة أنصار الدين فرع مدينة أووو سنة 1948م وظل بها للتدريس إلى سنة 1951م .(1).

رحلته العلمية إلى مصر :

سافر إلى القاهرة بمشورة ابن عمه الشيخ آدم عبد الله الإلوري عن طريق السودان إلا أنّه لم يتمكن هو ورفيقه من الحصول على تأشيرة دُخول مصر، فغيروا وجهتهم إلى المملكة العربية السعودية لأداء فريضة الحج بمكة المكرمة وبعد انتهائهم من تأدية فريضة الحج وفقو لتحصيل التأشيرة لدخول مصر في أكتوبر سنة 1951م بمساعدة أحد أثرياء نيجيريا يدعى الحاج كافو في السفارة المصرية بجدة، ثم التحق بمعهد البعوث الإسلامية بالمرحلة الأولى لمواصلة دراسته حتى نهاية العام الدراسي 1953م، حيث حصل على الشهادة الثانوية ثم انتسب إلى كلية الشريعة الإسلامية بالأزهر حيث تخرج بالشهادة العالية وسجّل بعد ذلك لمعهد الإعداد والتوجيه لتحصيل الدبلوم العالي في التربية والتعليم قبل رجوعه إلى نيجيريا .(2)

ترجمة حياة محمّد الأول أبوبكر :

يرجع أصل محمّد الأول أبوبكر إلى أصل هوساوي محض، ولد جده في لُكُورو من قرى إمارة زاريا، وعاش بها قبل هجرته إلى مدينة كنو حيث ولد والده بحيّ مقرّارى كنوا وفي النفس ذلك الحي ولد صاحب الترجمة 1948 وفيه نشأ وترعرع حتّى التحق بمدرسة علوم الدين الابتدائية وتعلّم بها حتّى تخرّج منها سنة 1962م ثم واصل دراسته بمدرسة الدراسات العربية كنو خلال وتخرج منها سنة 1969م ولشغفه بتحصيل العلم ورغبته في الاستزادة منه لم يلبث أن دخل كلية عبد الله بايرُو جامعة أحمد بلو زاريا (A.B.C/ A.B.U)سنة 1965م، ومكث بها أربع سنوات حتى تخرّج سنة 1974 ونال بها الليسانس في اللغة العربية بتقدير ممتاز. ثم لم يأل جهدا حتى حصل على درجتي الماجستير والدكتوراه في النقد الأدبي الحديث من جامعة أدنبره خلال عامي 1978 و 1984م .(3).

أوجه الائتلاف بين السيرتين :

أ- هناك اتفاق بين المؤلفين من حيث أنهما نيجيريان جنسيا وشماليان إقليما بعض النظر عن كون محمّد الأول أبوبكر من أقصى شمال نيجيريا ومحمّد البوصيري سلمان أَكَيْ من أدناها. كما أن محمّد الأول أبوبكر هوساوي اللهجة وقبيلة ومحمّد البوصيري سلمان أَكَيْ يورباوي اللسان .

ب- لمجرد قراءة السيرتين الذاتيتين يبدو للقارئ أن مؤلفيهما كاتبان مسلمان أصيلان يدرك ذلك القارئ في أسلوبيهما في دلالات الألفاظ والتراكيب وطريقة أدائها مما ينم عما فيهما من ملامح إسلامية، وآثار أخلاقية، ومعارف ثقافية. وهذه الثقافة الإسلامية كانت منتشرة في صفحات تأليف كلٍّ من المؤلفين ونعرض هنا على سبيل المثال ما يلي :(4)

وأما عبادة الحج فمن الواضح حرص مجتمعه عليها بل وحرص منطقة السودان الغربي كما يشهد بذلك موكب الحجيج الذي قاده أسكيا محمّد الكبير منذ خمسة قرون. وقد حاولت خطبه إبراز روح هذه العبادة من غرس معاني التوحيد والاستسلام لمنهج الله والتضحية في سبيله، وتوطيد أواصر الأخوة الإسلامية على النطاق العالمي، واتخاذ الحج مؤتمرا إسلامية تتدراس فيه مشاكل العالم الإسلامي في مواجهة التحديات المعاصرة، وترسم الحلول العملية لهذه المشاكل من وجهة النظر الإسلامية. وتناولت بالنقد الذاتي إدارة الحج الوطنية التي استعصت على الإصلاح لما يكتنفها من الأطماع الشخصية، ونددت بقوة ممارسات بعض الحجيج من مجتمعه في الأراضي المقدسة، تلك الممارسات التي لطخوا بها سمعة باقي مواطنيهم من الحجيج من مجتمعه المسلمين الذين تركوا وراءهم في وطنهم .

وكما رأينا في نص الشعائر الدينية والملامح الأخلاقية؛ نرى صنو ذلك في قول محمّد البوصيري سلمان أَكَيْ الآتي :(5)

ولو أن المسلمين ظلوا متمسكين بعناصر شخصيتهم المعنوية التي حددها العليم الخبير والتي ينبع من القلب احترامها وتقديسها وآمنت بها قلوبهم واستجابت لها جوارحهم وواجهوا العالم بهذا الإيمان حينا من الدهر ووجهوه إلى كثير من الخير، وفتحوا به للبشرية أبوابا من العلم النافع، أقول لو أن الأمة الإسلامية ظلت متمسكة بشخصيتها المعنوية هذه إلى يرمنا هذا، لما كنا اليوم في حاجة إلى التحدث في موضوع رسالة الأزهر، لأن الأزهر من يوم أن أنشئ وهو حقل المعارف الدينية والإنسانية التي رسمت بها السماء للأمة الإسلامية محيط شخصيتها المعنوية بدليل قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ" (سورة آل عمران، آية: 102). ولكن والأسف يملأ القلب قد تعرضت هذه المعارف بتدبير من الاستعمار الأجنبي لكثير من الضعف والتحريف وتبع ذلك أن أنسلخت الأمة الإسلامية، حينا من الدهر قليلا أو كثيرا عن عناصر شخصيتها المعنوية واستبدلت بها خليطا من شخصيات أخرى

بشرية مضطربة وغير متصلة، ولا متلائمة مع تقاليدها .

جـ- تلقى العلوم الإسلامية والدراسات العربية في المؤسسات العلمية داخل نيجيريا وخارجها ومحمّد البوصيري قصّ علينا قصة تلقيه العلوم الإسلامية والعربية في نيجيريا بقوله :(6)

...تعلمت القرآن الكريم عن والدي الذي لقب بالمفتي الإسلامي ثم أتممت حفظه عند عمي "ألفه عبد الله" وتلقيت دراستي الأولية عند والدي، ثم أخذت بعض العلوم عند "السيد الحاج كمال الدين الأدبي" وكنت من أوائل الطلبة الذين افتتحت بهم المدرسة العربية بمدينة إلورن عام 1942م والتي أتممت دراستي الأولية فيها حتى بعثت كمدرس إلى مدرسة أنصار الدين فرع مدينة أوو سنة 1947م ومكثت بها حتى عام 1951م حيث طلب مني ابن عمي "الحاج آدم عبد الله الإلوري" بضرورة السفر إلى القاهرة، فنزلت على طلبه وسافرت إلى القاهرة، وفي هذا التاريخ كان الإنجليز لا يزالون قابعين في نيجيريا ومسيطرين على كل مرافقها وما أن علموا بما اعتزمته من السفر إلى القاهرة حتى وضعوا كل العراقيل في طريقي والتي كان من أهمها عدم منحى تأشيرة دخول لمصر ولما كانت نيتي صادقة في المهمة التي سأسافر من أجلها وهي طلب العلم فقد وفقني الله إلى طريقة الخروج من البلاد دون أن يشعروا بنا وأخذنا طريقا بريا وعبرنا إلى السودان، وفي السودان حاولنا الحصول على تأشيرة دخول لمصر فلم نتمكن بل كاد الأمر أن يزداد سوءا عند ما هددنا المسئولون في السودان بالاتصال بحكومتنا فطلبنا منهم التريث بعض الوقت. وبمثل الطريقة التي خرجنا بها من نيجيريا خرجنا من السودان وذلك بتوفيق الله ورعايته وكانت صدمة قاسية لنا عند ما منعتنا السلطات المصرية من الدخول لعدم حصولنا على تأشيرة دخول سابقة وأعادونا إلى السودان، وظللنا في هذه المحنة قرابة الأربعة أشهر حتى صرفنا كل ما كان لدينا من النقود. وإزاء ذلك غيرنا وجهتنا إلى الأراضي المقدسة لتأدية فريضة الحج وطلبنا مدداً من الأموال من أهلنا في نيجيريا وبوصول ذلك المدد أخذنا طريقنا إلى بيت الله الحرام وكذا لم نفقد الأمل في دخول مصر، وواصلنا كفاحنا في سبيل الحصول على تأشيرة دخول مصر. فتقدمنا إلى السفارة المصرية في جدة برفقة السيد الحاج كافر وهو من زعماء وأثرياء نيجيريا، ومن المعروفين لدى المسئولين في تلك السفارة فأقنعهم بأن نرافقه في زيارة ابنه الذي كان يتعلم في الأزهر بالقاهرة حينذاك ووفقنا في تلك المرة إلى الحصول على هذه التأشيرة التي كانت مفتاح الخير في حياتنا وبا السعادة لنا، ووصلنا إلى القاهرة في أكتوبر سنة 1951م .

وتقدمت إلى المسئولين في الأزهر وأخبرتهم بما جئت من أجله فما كان منهم إلا أن اعتبروني كأحد أبنائهم وانتسبت في معهد البعوث الإسلامية بالمرحلة الأولى وواصلت دراستي في هذا المعهد حتى نهاية العام الدراسي سنة 1953م .

ثم حصل المترجم عنه على الشهادة العالية الأزهرية بقوله :(7)

...فدخلت الامتحان ونجحت نهائيا وحصلت على الشهادة العالة من كلية الشريعة الإسلامية.

ثم واصل دراسته والتحق بمعهد الإعداد والتوجيه حيث حصل على الدبلوم العالي والإجارة العالية الأزهرية :(8)

أوجه الاختلاف بين السيرتين :

أ- الأسلوب

نلحظ بعد إمعان النظر في السيرتين الذاتيتين أن الكاتبين مختلفان من حيث الأسلوب. فالكاتب الأول يميل إلى أسلوب المباشر وهو أسلوب سرد الأخبار كما هو حيث يكون الأخبار إما إخبارا صرفا أو وصفا عند ما يستخدم الراوي صيغة الأخبار فهو يتكلم باسمه الشخصي ويغلب على كلامه الطابع الموضوعي(9) ومثال ذلك قوله :(10)

قضيت المرحلة العالية حتى نهايتها وأنا أنظر إلى مستقبلي بعين الرضا والتوفيق. كما أتشرق إلى تلك النهاية التي تعتبر نصري الكامل على كا ما صادفني من صعوبات. وظننت أن طريقي سيظل محفوفا بالزهور والورود غير أن القدر لعب دورا هاما في امتحاني للشهادة العالية إذ تأخرت في مادة تخلفت على من مقرر السنة الثالة. وكان لتأخري في هذه المادة أثر سيئ على نفسي فقد باعدت بيني وبين أمالي وكلفتني الكثير من الجهد والمال والوقت، وذلك لأن قوانين الكلية تقضي بضرورة بقائي عاما كاملا حتى أمكن من دخول امتحان آخر في نهاية العام التالي .

وأما الكاتب الثاني فقد اتجه الاتجاه غير المباشر في سرد كلامه وهو استخدامه صيغة الغائب وتدل على أن الراوي يدرك عامة أكثر مما يدركه أبطاله وتتجلّى خاصة في الأدب الكلاسيكي وخير تمثيل لذلك قوله :(11)

على أنه تعلم من مقرراته الرسمية الصبر على القراءة والدقة في استخدام اللغة وتنوع الثقافة حيث تتداخل العلوم الإسلامية واللغوية. ومن أكبر ما غذي فيه الإقبال على القراءة الحرة الجمعية الأدبية التي يشرف عليها مدرس جم النشاط والمزاح. وكان عضوا نشيطا في هذه الجمعية إذ قلما تغيب عن ندواتها الثقافية أو بخل بمساهماته فيا ولن ينسى في هذا الصدد مناظرة نظمتها الجمعية عن تعدد الزوجات والزواج بواحدة ساهم فيها مؤيدا التعدد، فأعجبت مساهمته الحاضرين أيما إعجاب مما جعل أحد أساتذته يستفسر عما إذا كان تلميذه استظهر نص المساهمة الحق إنه لم يستظهر ما قاله في المناظرة، كل ما في الأمر أنه أعد الخطوط العريضة لمساهمته تاركا التفصيلات وما يعن له من أفكار يوحى بها المقام تسير على سجيتها، والفضل في ذلك كله يعود أخر الأمر إلى قراءته الحرة وشهود المحاضرات العامة والاستماع إلى الإذاعة العربية .

وقد وضعنا الخط تحت بعض المفردات للإشارة إلى الاسم الغائب وضميره وهذا الأسلوب يغلب جميع كلامه في تلك المذكرات إلا في الخطبة التي ألقاها عقب جلسة الدعاء شكرا وتقديرا لدور جماعته المأمومين في المشهد الأول من الكتاب .

ب- التركيب من حيث الطول والقصر:

أدركنا بعد تدقيق النظر في الروايتين أن كلاً من الكاتبين سرد أخباره بجملة مركبة مؤلفة (المعقدة) إلا أن محمّد أول أبوبكر كان أكثر استعمالا للتركيب المعقد من محمّد البوصيري سلمان أَكَيْ. وهذا يدل على طول نفس الكاتب الأول من حيث التعبير وعلى قصره لدى المؤلف الثاني .

ومن هذا القبيل قول محمّد أول أبوبكر في المذكرة حيث يقول :(12)

وقد تأكدت الحاجة إلى إلقاء هذه الدروس من منطلق أن الغالبية العظمي ممن نظمت لأجلهم كانت خلفيتهم الثقافية علمانية الصبغة فبعضهم لم يتلق من الثقافة الإسلامية إلا ما تيسر له في الكتاب، وما يتيحه منهج التربية الدينية الشحيح في المرحلتين الابتدائية والثانوية وفي غيبة المقررات الدراسية المناسبة والمدرسين الأكفاء إلا ما يتلقفونه من البرامج الدينية في الإذاعة والتلفزة .

الصورة الفنية أو التصوير الفني (Artistic Imagery)

والتصوير: "هو نقل أفعال الشخصيات وكلامهم بطريقة مباشرة. إلا أن الأسلوب المباشر لا يغطّي إلا جزءا من التصوير، إذ يضاف إليه التشبيه والخواطر. وينتمي المغزى إلى النمط الثالث من أنماط التصوير. وعليه يتجلّى التصوير في المسرح والخطاب المباشر وتعليقات الراوي .(13)"

بعد تتبعنا لهذين الكتابين لاحظنا أن كلاً من الأديبين قلّل من استعمال الصورة الفنية باختلاف أنواعها البيانية والبديعية وفقا لاتجاه الترسل الحديث أي التحرر من ربقة السجع والتصنع المفرط ومرد ذلك أنهما يسردان لنا سيرتيهما والسيرة تعتمد -في أغلب الأحيان- على الواقع دون الخيال، ومع ذلك نلحظ في عملهما ملامح فنية منهما اختيار الألفاظ الفصيحة والتأنق في توزيعها في المواقع الملائمة من الجملة كما نلمس استخدام النصوص طبقا لمتطلبات مقام الخطاب أو النص مما يدل على مهارتهما في الكتابة وعلو شأنهما في صناعة الكلام وإبداع النص القصصي ومع ذلك لم يخل كتاب كلٍّ منهما من الصور البيانية والبديعية إلا أن صاحب ذكريات الأزهري وظّفها في كتابه أكثر من صاحب المذكرات ومن الأماكن التي وظّفها وأحسن توظيفا قوله في :(14)

ولكن بعض الحاقدين —قاتل الله الحقد والحسد- عملوا على إعادتي إلى السنة الأولى الثانوية مرة أخرى، فتقدمت بشكوى إلى المسئولين فطلبوا مني

على أثرها أن أدخل امتحان آخر فدخلته أمام لجنة أخرى برئاسة فضيلة الشيخ توفيق الناحس مراتب البحوث آنذاك وفضيلة الشيخ طه السيد محمود مراقب البعوث وكان الامتحان تحريريا وشفويا، وقد اشتمل على علم الميراث والمنطق والبلاغة والحديث والتفسير والفقه، وفي مقرر السنة الثانية الثانوية، فاجتزته بنجاح، وعدت إلى السنة الثالثة الثانوية التي كان الحقد الأعمى قد حاول أن يحرمني منها .

وواصلت دراستي بتفوق فلم أرسب مطلقا —والله الحمد– حق أتممت دراستي الثانوية وبعدها التحقت بكلية الشريعة الإسلامية .

ولم تقتصر دراستي على العلوم الأزهرية فحسب، بل تقدمت للحصول على الشهادة الابتدائية من وزارة المعارف فحصلت عليها في عام واحد سنة 1953م .

وكذلك قوله :(15)

نعم لقد وضعوا الأشواك في طريقي وظنوا أنهم بذلك قد حطموا آمالي وأحلامي ولكن شاءت إرادة الله أن تقبض لنيجيريا من بين أبنائها نخبة تمتازة هداهم الله إلى طريق الحق، وذلك لأنهم فتية آمنوا بربّهم فزادهم الله هدى .

الاختلاف من حيث الشكل والمضمون:

الشكل والمضمون كلمتان عربيتان أصيلتان ذاعتا على ألسنة النقاد في الأعوام الأخيرة ذيوعا واسعا وفي مفهوم حديث ما أكثر أن يعلن أنهما لا ينفصلان إلا في الذهن. وأن أحدهما يؤثر في الآخر بل يوجدده . فالمضمون هو الذي يحدد الشكل. والشكل هو الذي يعبر عن المضمون. والعلاقات المتشابكة بينهما كما يراها النقد الحديث علاقات داخلية تنبع من الانفعالات وتعبر عن المواقف. ومن هذين العنصرين الرئيسيين تتكون القصيدة الشعرية "والنظر إلى الشكل وحده أو المضمون وحده قتل للأثر الفني. فإذا كان علم جمال المضمون يقتبل القصيدة حين يعريها من الشكل. فإن علم جمال الشكل يعدمها حين يردها إلى مجرد هيكل فارغ. أن واقع القصيدة كحضور مشخص في هيكل ما. هو شكلها. وشكل القصيدة هو القصيدة كلها. لغة غير منفصلة عما تقوله. ومضمون ليس منفصلا عن الكلمات التي تفصح عنه. ذلك أن الشكل والمضمون وحدة في كل وحدة في كل أثر شعرى حقيقي.

والشكل هو طريقة الأديب في التعبير عن فكرته. والصيغة التي يصوغ فيها هذه الفكرة. وكثيرا ما يميز بين الشكل والمضمون كما لو كان بينهما انفصال في الحقيقة، غير أنه يجب أن نتذكر أنه لا شكل بدون فكرة. ولا فكرة مجردة عن الشكل. والمقصود بالشكل على هذا. تلك البنية اللفظية التي هي عماد الأثر الأدبي. وشكل الأثر الأدبي متصل اتصالا وثيقا بما سمى المضمون، الذي هو وحدة الفكر والخيال" والشكل لا يعيش دون مضمون. والمضمون لا يعيش

دون شكل. إنهما بمثابة الروح والجسد، لا يستغنى أحدهما عن الآخر .

فالشكل: مظهر النص الأدبي، وتدخل فيه اللفظة المفردة والألفاظ المركبة في جمل وفقر وما ينتج عن التركيب من ايقاع وموازنة. فهو يشمل الهيئة التي بنيت عليها ألفاظ القصيدة. والصورة التي تبدو فيها .

والمضمون ويشمل ما وراء الوجه المرئى من النص الأدبي. وفيه العاطفة والأفكار وما تحمله من معان. وما تثير إليه من دلالات .(16)

وتطبيقا لمضمون النص السابق على المدونتين نعرض هنا بعض النصوص من الكتابين، لنقف على مدى الاختلاف بين السيرتين الذاتيتين انطلاقا من المقدمة لكلٍّ من النصين :

فهذا محمّد البوصيري سلمان أَكَيْ يقول لنا السبب الذي أدى به إلى كتابة سيراته بقوله: "فقد كلفني من لا تسعنى مخالفته، وهو السيد الأخ الأستاذ "الحاج إبراهيم سلمان علي" بأن أقول شيئا لا بأس به عن الأزهر في العصرين: الماضي والحاضر، وأن يكون كتابي شاملا لخصائص الأزهر الشريف وكمزودة للمحاسب أو كنقطة يكتب عليها الكاتب أو كوسيلة يتوسل بها كل مريد للأزهر، وخاصة أبناء أفريقيا جميعا، بعد أن أنهيت هذه المرحلة من التعليم المليئة بالذكريات والآمال والآلام، شارحاً ما صادفني من عقبات كانت كالصخر تكاد أن تقضى على آمالى لولا ما تذرعت به من الصبر والجلد والمثابرة، فإن هذا السلاح —سلاح الصبر– كان له الأثر الفعال في مواصلة تعليمي واقتحام كل الحواجز التي تعترضنى في سبيل النهوض بنفسى في التعليم، والتعلق بالآمال الجسيمة التي كانت تخالجنى، فراقت في نفسي هذه الفكرة التي عرضها على إخواني فقمت بهذا العمل راجيا أن يكون وسيلة فعالة، ونبراسا يهتدى به كل طالب علم يأتي من بلاد نائية، فيتغلّب على ما يعترض طريقة من عقبات، كما تغلبت على ما اعترضنى من وسائل مادية وأدبية.

أحيانا كانت عن طريق الاستعمار وأحيانا عن طريق القوانين المتبعة بالبلاد، وقوانين البلاد أحيانا تكون حاجزا حصينا بين الشخص وبين الوصول إلى أهدافه وآماله.(17)

وبتمعن النظر في النص السابق نرى أن مضمون النص يوحي بأن الدافع الذي دفعه إلى كتابة سيراته دافع خارجي، حيث إن صرح بإن أخاه الكبير السيد إبراهيم سلمان علي، هو الذي كلفه بتسجيل هذه الذكريات وتدوين أحداثها وتقريبها إلى الأجيال اللاحقة لتكون كشافة تنير لطلاب العلم طريقهم، وتبصر قاصدي جامعة الأزهر الشريف، بحقيقة ما انطوى عليه مبادئ الدراسة بها من جدٍّ وتحملٍ وتثابرٍ في سبيل تحصيل العلم.

وهذا بلا شك يباين غرض المؤلف الثاني: محمّد الأول أبوبكر في اقدامه على تأليفه والدافع عنده داخلي، وهو أيضا صرح بذلك بقوله :(18)

هذه الصفحات طرف من السيرة الذاتية تسلّط الأضواء على معالم بارزة من التجربة الإسلامية الضخمة التي ملأت أقطار نفس الكاتب، ألا وهي توليه منصب الإمامة والخطابة لبضع سنين في جامع يلفه مناخ جامعي وبقدر ما تسجل الصفحات سيرة ذاتية استعارت قالبها من فن الرواية ولا سيما عنصر السرد، تعتبر في الوقت ذاته كوة صغيرة يطل منها القارئ الكريم على مختلف القضايا ذات العلاقة بالعمل الدعوى في مجتمع الكاتب ولا عجب في الجرى وراء هذه الغاية المزدوجة إذ من البدهيات ثبوت التفاعل بين المجتمع والفرد الذي يعيش فيه، وإذا كان يقوم به الفرد عملا لا يأتيه من فراغ وإنما يأتيه في جزء غير قليل من تأثر الفرد بالمجتمع فمن الضروري أن يطل وجه المجتمع من خلال ذلك العلم غاية ما نأمل أن يجد القارئ في هذه الصفحات ما يغذي القلب والعقل، وإذا لم يتحقق هذه الأمل فقد ثبت الإخفاق في المسعى.

وبعد هذا الطواف العلمي ندرك أن السيرتين الذاتيتين لمؤلفيهما اتفقتات في اللغة، واختلفتا في الشكل والمضمون كما وضّحنا في السطّور السابقة .

الائتلاف والاختلاف معا

والكتابان مؤتلفان في أن كلاّ من المؤلفين وقع في قاعدة إملائية واحدة من ناحية العدد، أما من جانب النوع فقد باين الأول الثاني، وخالف أحدهما الآخر، فموضع الخظأ في الكتاب الأول عدم كتابة نقطتين تحت الياء. وفي الثاني كتابة همزة الوصل كهمزة القطع. واصطبغ المؤلَّفان من ألفهما إلى يائهما بهذه الصبغة .

وهذا النصان الآتيان أخذا من نسختين أصليتين، وكتبا كما كانا في الأصلين، وأما في النص الأول فقد وضعنا الخط تحت الكلمة التي فيها الياء غير المنقطة، وفي النص الثاني وضعنا الخط تحت الكلمة التي فيها همزة الوصل التي رسمت كهمزة القطع .

وهذا لا ينقص من قيمة الكتابين، إنما صرّحنا بهذا لإثبات الأمانة العلمية من جانب، ولإعطاء النقد جناحه الثاني، حتى يكتمل جانباه: المحاسن والمساوئ. وفي الحقيقة رجحت كفّة الجودة على الرداءة وهذا الرجحان، إنما هو إعلام بنبوغ الأديبين وسعة ثقافتهما الأدبية، ومهارتهما الكتابية، وهيمنتهما على الثروة اللغوية. وإليكم النصين في صفحتين تاليتين :

النص الأول من كتاب ذكريات في الأزهر بين الماضي والحاضر.

الفصل الرابع

تعريف المؤلف ومراحل حياته

إليك أيها القارئ الكريم تلك النبذة المختصرة من تاريخ حياتى منذ ولدت حتى عدت إليك عالما من علماء الأزهر .

فاسمى بالكامل "محمّد البوصيرى سلمان"، ولدت بمدينة أبيكوتا سنة 1928م من أبوين نيجيرى الأصل، ونشأت فى مدينة إلورن بلدة أبى وجدى، وتعلمت القرآن الكريم عن والدى الذى لقب بالمفتى الإسلامى ثم أتممت حفظه عند عمى "ألفه عبد الله" وتلقيت دراستى الأولية عند والدى، ثم أخذت بعض العلوم عند "السيد الحاج كمال الدين الأدبى" وكنت من أوائل الطلبة الذين افتتحت بهم المدرسة العربية بمدينة إلورن عام 1942م والتى أتممت دراستى الأولية فيها حتى بعث كمدرس إلى مدرسة أنصار الدين فرع مدينة أوو سنة 1947م ومكثت بها حتى عام 1951م حيث طلب منى ابن عمى "الحاج آدم عبد الله الألورى" بضرورة السفر إلى القاهرة، فنزلت على طلبه وسافرت إلى القاهرة، وفى هذا التاريخ كان الانجليز لا يزالون قابعين في نيجيريا ومسيطرين على كل مرافقها وما أن علموا بما اعتزمته من السفر إلى القاهرة حتى وضعوا كل العراقيل في طريقى والتى كان من أهمها عدم منحى تأشيرة دخول لمصر ولما كانت نيتى صادقة فى المهمة التى سأسافر من أجلها وهى طلب العلم فقد وفقنى الله إلى طريقة الخروج من البلاد دون أن يشعروا بنا وأخذنا طريقا بريا وعبرنا إلى السودان.

النص الثاني من كتاب مذكرات إمام وخطيب في مناخ جامعي :

المشهد السادس(6)

امتدت مضامين خطبه امتداد رسالة الإسلام التى وسعت شبكتها العملاة كافة ميادين الحياة وكان همه الأول التركيز على مجتمعه يبلور من رسالة الإسلام الحيوية ما يجدد من حياة مجتمعه لتكون حياة إسلامية صحية. وإلى ذلك تناولت خطبه هموم مشتركة بستلزم الإعتراف بالإسلام دينا الإهتمام بها .

ولعل أول ما احتل مكان الصدارة في خطبه بالنسبة إلى ما يتعلق تصحيح المفاهيم في مجال العقيدة، لأن الإنحراف في هذا الإتجاه يستتبع بالضرورة الإنحراف في السلوك والعمل. وها هو القرآن في عهده المكى خاصة يؤكد على ضرورة هذا المنهج التربوى، فمن المعروف أن القرآن في هذا العهد ركز على الجانب العقدى تعليما وتصحيحا وترسيخا .

أوجه الانفراد لكلٍّ من الأديبين :

انفرد الكاتب الأول محمّد البوصيري سلمان أكي بالتزامه بالأسلوب البسيط والمركب، بينما انفرد الأديب الثاني بالأسلوب المركب والمؤلف (المعقد) .

الخاتمة :

عرضنا في هذا المقال للموازنة بين السيرتين الذاتيتين للمؤلفين النيجيريين وكشفنا في خلال العرض لترجمة حياة المؤلفين ولبعض النصوص الواردة في الكتابين،

ثم سلطنا الضوء الوضاح مبرزا لما في النصين من أوجه الاتلاف والاختلاف، لنقف على مدى ما في المؤلفين من الثروات اللغوية والأنماط الأسلوبية، وكيفية توظيف كُلٍّ منهما للأدوات الربط وما أضافت تلك الأدوات من السبك الأسلوبي، وفاعليتها الشعرية في قارئيها ومستمعيها، كما نقف على ما في السيرتين من التسلسل المنطقي لفقرات المؤَلَّفَيْنِ مما زاد النصين رونقا وجمالا وبهاءا، وقد تزينت السيرتان بهذه الجماليات الأسلوبية، فجاءت نصوص كُلٍّ منهما مسبوكا محبوكا .

هذا قلة من كثرة ما في النصين من السيرتين الذاتيتين للأديبين، وعلى هذا نوصي حذاق اللغة ودراساتها بأنواعها المختلفة من أسلوبية أو بلاغية أو دلالية وما إلى ذلك من المعارف اللغوية أن نقترب لتراث أدبائنا النيجيريين ونعيش في أجواء مؤلفاتهم، ونقدم ما فيها من المعارف الإنسانية إلى مكتبة العالم ليقف القراء على ما بذل علماؤنا من الخدمات العلمية والمعارف الإنسانية. والله من وراء القصد .

هوامش

1- محمّد الأول أبوبكر (الدكتور)، مذكرات إمام وخطيب في مناخ جامعي، ط1، 1417هـ/1997م، مكتب الأدب الإسلامي المعاصر، صـ: 26

2- محمّد البوصيري سلمان أكي، ذكريات في الأزهر: بين الماضي والحاضر، مطبعة السعادة- القاهرة ت، 1964م، صـ: 81

3- محمّد البوصيري سلمان أكي، المرجع نفسه، صـ: 60

4- محمّد البوصيري سلمان أكي، المرجع نفسه، صـ: 70

5- محمّد البوصيري سلمان أكي، المرجع نفسه، صـ: 69

6- جوزيف ميشال شريم، دليل الدراسات الأسلوبية، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع بيروت لبنان، 1404هـ/1984م، صـ: 17

7- محمّد البوصيري سلمان الألوري، ذكريات في الأزهر: بين الماضي والحاضر، مطبعة السعادة- القاهرة ت، 1964م، صـ: 70

8- محمّد الأول أبوبكر (الدكتور)، مذكرات إمام وخطيب في مناخ جامعي، ط1، 1417هـ/1997م، مكتب الأدب الإسلامي المعاصر، صـ: 23

9- محمّد الأول أبوبكر (الدكتور)، المرجع نفسه، صـ: 44

10- جوزيف مبشال شريم، دليل الدراسات الأسلوبية، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع بيروت لبنان، 1984م/1404هـ، صـ: 17

11- محمّد البوصيري سلمان أكي، المرجع السابق، صـ صـ: 64-63

12- محمّد البوصيري سلمان أكي، المرجع نفسه، صـ: 66

13- طه عبد الرحيم عبد البر (الدكتور)، قضايا النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق، ط1، مطبعة دار التأليف، 1403هـ/1983م، صـ صـ: 255-256

14- محمّد البوصيري سلمان أكي، ذكريات في الأزهر: بين الماضي والحاضر، مطبعة السعادة- القاهرة ت، 1964م، صـ صـ: 11-12

15- محمّد الأول أبوبكر (الدكتور)، مذكرات إمام وخطيب في مناخ جامعي، ط1، 1417هـ/1997م، مكتب الأدب الإسلامي المعاصر، صـ صـ: 1-2

16- محمّد البوصيري سلمان أكي، المرجع السابق، صـ صـ: 61-60

17- محمّد الأول أبوبكر (الدكتور)، المرجع السابق، صـ صـ: 76-75

18- محمّد البوصيري سلمان أكي، المرجع السابق، صـ صـ 60-70